الـدرس العـاشــر/ معـركـة الـزقـاق: لـرشيـد بـوجـدرة

الـثـــلاثـيـــــة : لـمحمـد ذيــب

أولا/ معركـة الـزقـاق: لـرشيـد بـوجـدرة :

1/ **التعريف بالكاتب:** ولد(رشيد بوجدرة عام 1924) في مدينة **عين البيضاء**، بولاية أنم البواقي (الشرق الجزائري)، تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة قسنطينة. تخرج من مدرسة **(الصادقية)** في تونس ومن بعدها من جامعة(**السوربون)** بفرنسا. وبعد استقلال الجزائر(سنة 1962) انظم إلى الحزب الشيوعي الجزائري، فقد أقام في (باريس) و(الرباط) بالمغرب مدة ثم عاد إلى الجزائر. عمل في التعليم وتقلد مناصب كثيرة، منها أمين عام لرابطة حقوق الإنسان، وفي سنة (1987) أنتخب أمينًا عامًا لاتحاد الكتاب الجزائريين لمدة ثلاث سنوات. وعند اندلاع العشرية السوداء(الأزمة) في الجزائر(بوجدرة) إلى**(تيميمون)** بصحراء الجزائر وبقي فيها سبع سنوات لهدوئها وبعدها عن مناطق الاضطرابات.. كتب الروائي(بوجدرة) في القصة والشعر والرواية، والمسرح، والدراسات النقدية منها:

- رواية التطليق: باريس، 1969.
- رواية الرعن: باريس، 1972.
- رواية الحلزون العنيد: باريس، 1977.
- رواية التفكك: الجزائر، 1982.
- رواية معركة الزقاق: الجزائر،1986 .
- رواية تيميمون: الجزائر، 1993.
- رواية الجنازة: باريس، 2001.

أمّا في **الشعر** فله: * من أجل إغلاق نوافذ العلم : الجزائر1965. * لقاح : الجزائر 1988.

كما وضع الكثير من **السيناريوهات** منها:

- وقائع سنوات الجمر: نال السعفة الذهبية من مهرجان" كان" السينمائي 1975.
- بلاد السراب: نال الجائزة الكبرى بمهرجان "موسكو" 1981.

- نهلة: نال التانيت الذهبي، بمهرجان " قرطاج" 1977.

2/ ملخص روايـــة / معركـــة الـزقـــاق:

ينهض النص على عنصر التاريخ ويقوم عليه، ويحكي عن الثورة التحريرية ومعاناة الشعب، بطلها (طبيب) سماه والده (**طارق**) على اسم (طارق بن زياد)، يتذكر طفولته البائسة، يحب أمّه، شديد التعلق

بها، فقد كانت مثالاً للتواضع.. أمّا الأب فهو غير محبوب عنده، يُكِنُّ له مشاعر البغض والكره:(أما أمّي، أمّي طاهرة عفيفة، انتسبت طفولتي لمحنتها.. أنا المقصي من عتبات الأبوة.. و..وأين أمّي ماتت أمي طفولتي انتسبت لمحنتها، كان أبي قد أقصاني من عتبات حنانه لكثرة زوجاته وتكاثر نسله..). سمّى الأب ابنه على اسم الشخصية التاريخية (طارق بن زياد)، وهذا تثمينًا وتقديسًا لذلك الإرث التاريخي، الذي يعدّ رمزا تاريخيًا وحضاريًا، يتحمّل البطل هذا العبء، بحيث أنّه دائما كان يبحث عن ذاته في صورة بطل معركة (خليج الزقاق) طارق بن زياد، حتّى إنّه اطلع على كثير من الكتب ليعرفه لكن أسئلة أستاذه (بن عاشور) تحاصره وتؤرقه حول حقيقة هذا البطل المثال وحقيقة خطبته المشهورة.

3- مـضمـون الـروايـــــة:

إنّ النزعة التجريبية في رواية (معركة الزقاق)، نجد الكاتب شديد الإيغال في مسالك المغامرة السردية فالعنوان منذ البدء يوحي باستثمار الكاتب للتاريخ العربي الإسلامي عبر استعادته وقائع (معركة الزقاق) التي خاضها (طارق بن زياد) ضد الأسبان، ومكّنه كسبها من فتح الأندلس. فيعرض تاريخ فتح الأندلس عبر اللحظات المتأزمة،عقب ظهور علامات صراع بين القائد(طارق بن زياد) وأميره(موسى بن نصير) الذي حركته الغيرة بعد النصر. وتشابك لقطات هذا التاريخ البعيد في بعده القومي، وأخرى مستمدة من التاريخ الحديث، زمن حرب التحرير بعضها مشرق يردد صدى البطولات والانتصارات وبعضها الآخر قاتم، يعرض للخيانات التي تخللت الثورة التحريرية والمظالم التي ارتكبتها في حقّ الكثير من أبنائها خاصة الشيوعيين منهم. ويعرض هذا التاريخ البعد القومي والوطني، عبر منظور نقدي

يتأسس على المعارضة التي تنتهي إلى المفارقة، والتي لا تتهيب من إثارة الأسئلة حول المصداقية التاريخية(لخطبة طارق بن زياد)، ولما تم تدوينه عن ثورة التحرير الجزائرية.

وهي الرؤية/ الموقف الذي يعكس زيف الكتابات التاريخية ـ في معظمها ـ حول تاريخ العرب والمسلمين في الأندلس أو تاريخ الجزائر الحديث زمن حرب التحرير، وقد توخى السارد في بلورتها سردا مُتشبِّعًا إلى حدّ التتويه، ينبني على تداخل الكثير من تقنيات الكتابة كالتذكر، والتداعي، والاستطراد والاستلهام.. كما يمارس الروائي بكل جرأة وحرية عملية النقد والتفكيك للنصوص التاريخية من خلال بطله(طارق) الذي يشك في بطله (طارق بن زياد) وقوله لتلك الخطبة البطولية من خلال معلمه المختص في التاريخ(بن عاشور) الذي يشك في نسبة الخطبة إلى (طارق بن زياد)،<<علينا أن نرتاب أولا في نسبة هذه الخطبة إلى طارق بن زياد، وثانيا، في مناسبة إلقاءه هذه الخطبة من قبل طارق>>.

اتخذ(رشيد بوجدرة) من تلك النصوص التاريخية المبثوثة في الرواية والتي استقاها من التاريخ ومما قرأه واطلع عليه حول(طارق بن زياد) والخطبة التي ألقاها على جنوده، نقطة لإثارة مجموعة من التساؤلات العميقة، وهي نقد لهذه المرجعية التاريخية، وبالتالي يثير في القارئ كما أثار في الشخصية الروائية الشك في الخطبة وفي نسبتها لطارق بن زياد، وفي وجودها أصلاً ويجعله يعيد النظر في التصورات والأفكار المبنية على المرجعية التاريخية.

ثانيا/ الثلاثية، لمحمد ذيب :

1-التعريف بالكاتب: أديب وكاتب جزائري لقب(بالأب المؤسس للأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية) وقد وصفته وزارة الثقافة الفرنسية في بيان نعته فيه، بأنّه كان (صلة الوصل الروحية بين الجزائر وفرنسا وبين الشمال والجنوب في البحر الأبيض المتوسط، وبين ضفتي الفرنكفونية).

ولد (محمد ذيب) بمدينة **تلمسان**(سنة 1920م)، تلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الفرنسية، وبعد وفاة والده سنة(1931)، ورغم الظروف المعيشية الصعبة، فإنّ ذلك لم يوقف عزمه على متابعة دراسته بجدّ وكدّ في مسقط رأسه. ومن سنة(1938) إلى سنة (1940) سافر إلى منطقة قرب الحدود الجزائرية المغربية وهي مدينة(**وجدة**) ليتولى التدريس، ثم عمل

محاسبًا بنفس المدينة، ولمّا بلغ سن(التاسعة عشر) اشتغل بالتعليم في قرية(زوج بغال) على الحدود الجزائرية المغربية، ثم التحق سنة(1942) للعمل في مؤسسة السكة الحديدية. تم تجنيده سنة(1942) ضمن جيوش الحلفاء وخلال الحرب العالمية الثانية،اشتغل كمترجم بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية. عاد سنة(1945..1947) إلى مسقط رأسه تلمسان، وتحول إلى مصمم ديكورات، ثمّ حرفيا في النسيج يصنع الزرابي، اشتغل في سنة(1948) بالصحافة، فالتحق بصحيفة (الجمهورية الجزائرية) رفقة الكاتب (كاتب ياسين)، كما ساهم في يومية (الحرية) لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، فنفته الشرطة الفرنسية بسبب كتاباته المناهضة للاستعمار الفرنسي للجزائر.

2- **مـؤلفـــــاتـــــــه:**

كان ميلاده الأدبي عام(1952) مع صدور باكورة رواياته **(الدار الكبيرة)**، ثمّ توالت إصداراته الروائية التي تبلغ حوالي(ثمانية عشر) رواية. ألّف ضمن ثلاثية الجزائرالأولى: **الحريق**(1954)،**النول** (1957) وضمن ثلاثية الجزائر الثانية: **من يتذكر البحر**(1962)، **الجري على الضفة المتوحشة** (1964) **رقصة الملك**(1968)، وتواصلت تجاريه السردية خلال (1970-1977) بسرد ثلاث روايات هي **إله وسط الوحشية**(1970)، **سيد القنص**(1973)، **هابيل**(1977) كما ألّف في ثلاثية الشمال: **شرفات أورسول**(1985)، **إعفاء حواء**(1989)، **ثلوج من رخام** (1990).

أصدر في القصة ثلاث مجموعات : **في المقهى**(1957)، **تلمسان**(1966)،**الليلة المتوحشة**(1995)، كما كتب في الشعر ثمانية دواوين أشهرها: **حارسة الظلال**(1961)، **تلك النار الجميلة**(1979). جمع طائفة من الحكايات التراثية المتداولة في بلدان المغرب العربي ضمن أربعة إصدارات هي: **بابا فكران**(1959)، حكاية **القط الممتنع عن الكلام**(1974)، **سالم والمشعوذ** (2000). وحكاية **الخرتيت الذي كان يعتقد أنّه قبيح الشكل**. وكانت وفاة الأديب الكبير **(محمد ديب)** يوم (02 مايو2003) في العاصمة الفرنسية باريس.

3ــ ملخــص الثـلاثيـــــة:(الدار الكبيرة / الحريق / النول) بعمق معاناة الشعب الجزائري، وتعاطي الكاتب بجدية مع واقع معقد في حقبة تاريخية غنية بأحداثها وتحولاتها الكبرى، وذلك في فترة الاحتلال الفرنسي لتبقى شاهدة على حياة الفقر والبؤس والاضطهاد التي عانتها الأسر الجزائرية.

أــ الدار الكبيرة:(1952): تدور أحداثها عن مجمع سكني يسمّى (دار سبيطار)، يقطن فيه مجموعة من السكان، تجمعهم حياة الجوع والفقر والبؤس، وهكذا شكل الجوع الجزء الأول من الثلاثية. يصور الكاتب العائلات وهي تكابد ظروف العيش القاسية ولا سيما الجوع، بطل الرواية طفل صغير لا يتجاوز عمره 12 سنة اسمه (عمر)، وأمّه اسمها (عيني) المعيل الوحيد للعائلة بعد وفاة زوجها والتي تكابد الصعاب من أجل الحصول على طعام للعائلة، ويصور الكاتب أحوال المجتمع الجزائري والأوضاع المزرية، في مجمع(دار سبيطار)، وكيف كانت معيشتهم وتفكيرهم وتعاملهم مع بعضهم البعض تحت وحشية الاستعمار الفرنسي وطريقته الإقصائية والاضطهادية والاستعبادية للشعب الجزائري.وتنقل آثار القمع وسوء المعاملة من طرف الاستعمار إلى العائلات، فنجد الأسر تصبّ جامّ غضبها على أطفالها، وكأنّهم هم السبب في هذه الأوضاع المزرية، والأطفال بطبيعتهم البريئة يرفضون أشكال القمع والاضطهاد من أي جهة كانت، فنرى مظاهر التمرد على (عمر) ضد أمه (عيني) حين سمعها تشتم جدّته ووالده المتوفي بسبب الحالة التي تركها فيها تواجه مصير العائلة وحدها، فتراه يصرخ ويشتم هو الآخر عليها ويلوذ بالفرار فهو هنا لا يمثل الطفل السوي، بل الطفل غير العادي، الطفل الذي يعيش تحت قسوة الاحتلال وقسوة الواقع الاجتماعي المتخلف والفقير، وهي صورة تنطبق على جميع الأطفال.

ب ـ الحريق:(1954): هي الجزء الثاني من(الثلاثية)، وتبدأ أحداث هذا الجزء بمغادرة (عمر) وهو ابن الحادية عشرة سنة (دار سبيطار) متجها إلى الريف للعمل في الفلاحة عند المعمرين، لكسب قوت يومه مع جموع الفلاحين الذين يتقاضون أجورا زهيدة في أراض كانت لهم يوما، ويتطرق الكاتب إلى وصف علاقة الفلاحين بالمستوطنين الفرنسيين، وكذلك يحكي عن الصدمات العنيفة بينهم وبين المعمرين والشرطة، فيسجن ويعذب الكثير من

الفلاحين، يرجع (عمر) إلى (دار سبيطار) بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وماخلفته من ضحايا... .

ج ـ النول:(1957): حيث يتطرق الكاتب في قسم منها إلى مجموعة من الأحداث، إلى ما صارت إليه أحوال (دار سبيطار)، فقد تحولت المدينة القديمة المعروفة بالحرف إلى ما يشبه المدينة الصناعية حيث كثرت معامل النسيج بشكل لافت، وأصبحت السجاجيد والأغطية تشحن إلى فرنسا باستمرار ويتمكن (عمر) من ممارسة العمل في أحد المصانع للصوف، كما يصور الكاتب الحياة البائسة داخل المصانع، إلى جانب تناوله ظاهرة التسول التي انتشرت في المدينة، وبأعداد غفيرة، وقد شكلت هذه الصورة ظاهرة غريبة، مما دفع بالسلطات الاستعمارية إلى تنظيم حملة لجمع هؤلاء المسولين وطردهم خارج المدينة، لكونهم حشرات في نظر السلطات الفرنسية الاستعمارية الحاقدة.

والثلاثية بلا شك تتبع طريقة الترجمة الشخصية بأمانة، فمغامرات البطل(عمر) هي نفسها مغامرات (محمد ديب)، ولذلك فإنّ(ديب) يعيد إلى الذهن رواية الطبقة العاملة التي ظهرت، كما يسترجع بلا ريب رواية الاحتجاج الاجتماعي. وهذا الموقف السلبي قد جعل فرنسا الاستعمارية كلها مسؤولة عن أزمة الجزائر وأخيرا فإنّه يضع اللوم على<<بني وي ـ وي الذين باعوا أنفسهم وإخوتهم بلا خجل لكي يحصلوا ويحافظوا على مراكز محظوظة في المجتمع الجزائري>> .